

عبد الرحمن بن ربيعة

أعلام القادة

القائد عبد الرحمن بن ربيعة

عبد الرحمن بن ربيعة بن يزيد الباهلي: وال، من الصحابة، كان يلقب ذا النور. ولاه عمر بن الخطاب قضاء الجيش الذي وجهه إلى القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص، وعهد إليه بقسمة الغنائم. ثم ولاه الباب، وقاتل الترك والخزر، فاستمر في ولايته هذه إلى أن استشهد في بعض وقائعه بينجر.

كان عبد الرحمن قائداً عَقْدِيًّا من الطراز الرفيع، وكان لتمسكه الشديد بعقيدته موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على حد سواء، بالإضافة إلى شجاعته وإقدامه وعلمه بأمور الدين، لذلك بقي قائداً لمنطقة (باب الأبواب) ووالياً عليها منذ وفاة سراقبة بن عمرو حتى استشهد، لم يعزل من منصبه على الرغم من تبدل الخلفاء وتغير الولاة والقادة في الكوفة مرجع عبد الرحمن المباشر، وكان عبد الرحمن يؤمن بوسائل حرب الفروسية الشريفة، فلا يخون ولا يغدر ولا يضرب من الخلف.

وكان لسيرته الحسنة في منطقة (باب الأبواب) وجنوب بحر الخزر وغربه أثر أي أثر في استقرار الأمور واستتباب الأمن والنظام في تلك الربوع، فأصبحت تلك المناطق قاعدة أمامية لنشر الإسلام والفتح شمالاً، فثبت الإسلام في تلك الأصقاع النائية في وجه مختلف المحن والتيارات منذ أربعة عشر قرناً حتى اليوم.

ومن مواقفه الخالدة التي سطرها على صفحات التاريخ عندما خرج بالناس حتى قطع (الباب) فقال له الملك شهريار: ماذا تريد أن تصنع؟ قال: أريد (تَلَجْر) والترك، قال: إنا لنرضى منهم أن يدعونا من دون (الباب). قال عبد الرحمن: لكننا لا نرضى منهم ذلك حتى

نأتيهم في ديارهم، وتالله إن معنا لأقواما لو يأذن أميرنا في الإمعان لبلغت فيهم (الرّم).

قال الملك: وما هو؟ فأجابه عبد الرحمن: أقوام صحبوا رسول الله ﷺ ودخلوا في هذا الأمر بنية، كانوا أصحاب حياء وتكرم في الجاهلية، فازداد حياؤهم وتكرمهم، فلا يزال هذا الأمر دانما لهم، ولا يزال النصر معهم حتى يغيرهم من يغلبهم، وحتى يلفتوا عن حالهم.

وقد غزا عبد الرحمن (بلنجر) غزاة في زمن عمر بن الخطاب، فقال الترك: ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهرب منه الترك وتحصنوا فرجع بالغنيمة والظفر بعد أن بلغه خيله (البيضاء) على رأس ماتني فرسخ من (بلنجر)، وعادوا ولم يقتل منهم أحد.

ومن الواضح أن معنويات المسلمين كانت عالية جدا لتتابع انتصاراتهم، ولتمسكهم بدينهم، كما أن معنويات الأمم التي حاربوها كانت منهارة؛ لأن المسلمين غلبوا الأمم التي قاتلوها، لذلك هرب الأتراك من المسلمين وتحصنوا، فلم يحدث قتال فعلي في هذه الغزوة، فلم يسقط من المسلمين شهيد.

لقد كان عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي على جانب عظيم من التقوى والخلق الكريم، وكان تصرفه مع المغلوبين له الأثر في استتباب الأمن واستقرار النظام وانتشار الإسلام، فقد كان وقياً غاية الوفاء، أمينا غاية الأمانة؛ فقد أرسل ملك الباب رسولا إلى ملك (الصين) مع هدايا - وذلك قبل أن يفتح المسلمون بلاده - فعاد رسوله من رحلته بعد فتح المسلمين لتلك البلاد، وكان مع الرسول العائد هدايا من ملك الصين بينها ياقوتة حمراء ثمينة، وكان ملك (الباب) حين عودة رسوله في مجلس عبد الرحمن، فتناول الملك من رسوله

تلك الياقوتة ثم ناولها عبد الرحمن، ولكن عبد الرحمن ردها فوراً إلى الملك بعد أن نظر إليها، فهتف الملك متأثراً وقال: لهذه - يعني الياقوتة - خير من هذا البلد (أي باب الأبواب)، وأيم الله لأنتم أحب إليّ حكاما من آل كسرى، فلو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني، وأيم الله لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووفى ملككم الأكبر.

كان من حق ملك المدينة (الباب) وما حولها أن يعجب أشد العجب ويدهش أشد الدهشة بأمانة القائد المسلم ووفائه، فقد عاش هذا الملك عمره كله في نوامة عنيفة من الخيانة وفي جو مشحون بالغدر، فلما رأى أمانة المسلمين المثالية ووفاءهم المطلق لم يتمالك نفسه أن نسي ملكه المضاع وملوكه الغابرين، فعبر عن شعوره بكلمات خارجة من أعماق قلبه إعجاباً بما يرى ويسمع من أمانة ووفاء.

كان عبد الرحمن يعلم أن الاستيلاء على الياقوتة التي لا تقدر بثمن ليس من حقه شخصياً، ولا من حق بيت مال المسلمين، فكانت تلك الياقوتة والتراب عنده سيات، فقد كان عبد الرحمن كريماً مضيافاً شهماً غيوراً، ورعاً تقياً، متفقهاً في الدين تقياً، لا يملك شيئاً من حطام الدنيا على الرغم من أنه قضى أكثر عمره غازياً ووالياً، وقد استشهد في عام اثنتين وثلاثين للهجرة في منطقة (بلنجر). ويعتبر عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي من قادة الفتح في عهد عثمان رضي الله عنه، وقد كانت له صحبة وقد أسلم متأخراً^(١).

* * *

(١) الصلابي، سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ٢٧٤/١.